مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٧)، العدد (١)، ص ص ٢٦٥-٣٠٣، (محرم ١٤٣٥هـ/ نوفمبر ٢٠١٣)

العنف لدى بعض الشخصيات النسائية في التاريخ الإسلامي (١٧٠-٦٥٥هـ)

د. عذاري بنت إبراهيم عبد العزيز الشعيبي
جامعة الملك فيصل بالإحساء، كلية الآداب، قسم التاريخ
ص. ب. ٧٥٥ الرمز البريدي ٣١٩٨٢
البريد الالكتروني : atshaibi@kfu.edu.sa

ملخص البحث. يهدف هذا البحث إلى دراسة موجزة لسير أربع شخصيات نسائية مشهورة في التاريخ الإسلامي عبر فترات زمنية مختلفة، ركزت معظم الكتب التاريخية على أدوارهن السياسية ومواقفهن البطولية، متغافلين عن بعض المواقف السلبية العنيفة في حياتهن، وتأثير تلك المواقف على مسار الأحداث التاريخية في عصرهن، والأسباب المؤدية لذلك العنف، وهو ما سنحاول إبراز في هذا البحث.

ونتيجة لذلك فقد قسمت الباحثة البحث إلى خمسة أجزاء استطاعت من خلالها أن تصل إلى الكشف عن حياة تلك النسوة وأهم مواقفهن السياسية المؤثرة، و دورهن السياسي والذي أدى في أوقات كثيرة إلى تغيير مجريات بعض الأمور السياسية في الدولة ، إضافة إلى مجموعة من النتائج الاجتماعية والسياسية.

وقد عرضت هذه الدراسة في عدة محاور جاءت كالآتي: مكانة المرأة المسلمة ودورها السياسي، العنف عند المرأة، الشخصيات النسائية الأربع مرتبات حسب تاريخ وفاتهن، أبرز العوامل المشتركة بين تلك النسوة ، وختمت الدراسة بخلاصة بينت فيها أهم نتائج البحث التي توصلت إليها.

مقدمة

المرأة نصف المجتمع مقولة تتردد كثيرا، وهي تعبر في مكنونها عن أهمية دور المرأة في مجالات الحياة المختلفة، فللمرأة دور بارز عبر الحضارات المختلفة وعلى مختلف العصور ولكن من الملاحظ أن هذا الدور يمر بحالات متقلبة، فنجده يبرز في أوقات ويتضاءل في أوقات أخرى.

ولقد ظهر الدور التاريخي للمرأة المسلمة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فهي وإن لم تكن سبباً مباشراً في صناعة القرار السياسي، إلا أنها أثرت بشكل واضح وكبير وغير مباشر في صناعة القرار ومسيرة الأحداث السياسية التاريخية خاصة إذ كانت ذات صلة قريبة من الخليفة أو السلطان. فكان لها دور كبير في تحريك الأحداث التاريخية، سواء كانت تلك الأحداث سلبية أو إيجابية فدور المرأة يبرز فيها بوضوح.

والمطلع على السير الشخصية التاريخية يجد أن العديد منها يركز على الجوانب الإيجابية والبطولية للشخصية محاولاً الابتعاد أو التخفيف من شأن الجوانب السلبية، إما تشكيكاً بأحداثها أو محاولة لرسم الماضي للمرأة بصورة بطولية جميلة.

ولأن الرحمة والعطف بل والضعف أحيانا وصف ملازم للمرأة، إلا أن تلك الصفات قد تتحول إلى قسوة شديدة عند الغضب أو الخوف، فتنتزع منها الرحمة والشفقة، خاصة إذا تعارضت تلك الرحمة مع مصالحها الشخصية أو مبادئها السياسية أو الدينية. والتاريخ مليء بقصص مختلفة عن قسوة النساء والتي قد تصل بهن في أحيان كثيرة إلى العنف.

وهكذا المرأة قد تدفعها أمور عدة للتحول من الشخصية الهادئة المسالمة إلى شخصية عنيفة متوحشة، ولعلنا في هذا البحث سنتناول سير أربع شخصيات نسائية مشهورة في التاريخ الإسلامي، كان لهن مع العنف قصة ورواية ظهرت وبانت أحداثها عبر التاريخ لبعضهن واختفت وشكك في صدقها للبعض الآخر، ركزت معظم الكتب التاريخية على أدوارهن السياسية ومواقفهن البطولية، متغافلين بعض المواقف السلبية العنيفة في حياتهن وتأثير تلك المواقف على مسار الأحداث التاريخية

السياسية أو الاجتماعية في عصرهن، وقد تم اختيار شخصيات البحث عبر المراحل الزمنية المختلفة ووفق ظروف معيشية مختلفة رغبة في التنويع والاطلاع على اكبر عدد ممكن من الأسباب والدوافع للعنف لدى النساء الحاكمات، كما أننا عمدنا على أن تكون الظروف والأسباب المؤدية للعنف تختلف فيما بينهن وكذلك قرابة الشخص الموجه له ذلك العنف، ومنعاً للإطالة أو الاستطراد اكتفينا بهذا العدد لتناوله بالبحث والتحليل، ولعلنا في هذا البحث ومن خلال تناول موجز من سيرهن نحاول كشف الحقيقة بما تيسر لنا من روايات المؤرخين ومنقولاتهم وتمحيص ما تحتويه من تحيز ضدهن أو إنصاف لهن، ثم ربط المواقف المشتركة بينهن، وقد عمدت لتحقيق هذا الهدف إلى الرجوع إلى الكتب والمصادر التاريخية التي تناولت سيرة تلك النسوة من حيث النشأة والتربية وأهم المواقف والأدوار المهمة في حياتهن حتى وفاتهن.

ونتيجة لذلك قسمت الباحثة البحث إلى خمسة أجزاء استطاعت من خلالها أن تصل إلى الكشف عن حياة أولئك النسوة وأهم مواقفهن السياسية المؤثرة، إضافة إلى مجموعة من النتائج الاجتماعية والسياسية التي من أهمها: حياة الترف والراحة والدلال التي عاشتها تلك النسوة، دورهن السياسي المهم الذي أدى في أوقات كثيرة إلى تغيير مجريات بعض الأمور السياسية في الدولة.

وقد عرضت هذه الدراسة في عدة محاور جاءت كالآتي: مكانة المرأة ودورها السياسي في المجتمع الإسلامي، القوة عند المرأة في العصر الإسلامي، الشخصيات النسائية الأربع مرتبات حسب تاريخ وفاتهن ؛ وهن: الخيزران (ت: ١٧٣هـ/ ٧٨٩م)، ست الملك (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م)، زمرد خاتون (ت: ٥٥٧هـ/ ١١٦١م)، شجرة الدر (ت: ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م)، أبرز العوامل المشتركة بينهن، وختمت الدراسة بخلاصة بينت فيها أهم نتائج البحث التي توصلت إليها.

مكانة المرأة المسلمة ودورها السياسي

من يقرأ التاريخ ويتتبع وضع المرأة فيه عبر العصور يرى وبوضوح المكانة العالية التي نالتها المرأة بمجرد دخولها الدين الإسلامي،فقد حفظ لها الإسلام مكانتها وقيمتها بمختلف أوضاعها كأم وزوجة وأخت وبنت ورفع من قدرها بعد أن كانت مهانة ذليلة في معظم العصور قبل العصر الإسلامي.

فلم يمنع الإسلام كونها امرأة من مشاورتها والأخذ برأيها حتى في الأمور السياسية المهمة،ولقد ضرب لنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في حسن الخلق والتعامل مع النساء بل ومشاورتهن والأخذ برأيهن حتى في أمور أمته إن وجد في رأيهن خيراً و صلاحاً للأمة،فنجده يخبر زوجته عائشة رضي الله عنها بوجهته وخطته السياسية لفتح مكة ويطلب منها كتمان الأمر ولقد كان إخباره لها قبل أن يخبر أباها أبا بكر أقرب الناس إليه، وحينما سألها والدها لم تكتم عنه مكانه وجهته فقط بل عملت جاهدة على إخفاء الأمر عنه وتصعيبه عليه وذلك بذكرها العديد من الوجهات التي قد تكون إحداها وجهته صلى الله عليه وسلم [١].

أما في صلح الحديبية فنجد الرسول الكريم يبدأ بنفسه بنحر أضحيته وحلق شعره آخذاً برأي زوجته أم سلمة رضي الله عنها حتى تبعه قومه بعد أن تباطأ الناس في فعل ما أمرهم به[٢].

وعلى هذا النهج اقتدى الصحابة والتابعين ومن تبعهم بهذا الخلق من الاهتمام بالمرأة ومشاورتها والأخذ برأيها في بعض الأمور، حتى أضحت للمرأة مكانة مهمة في المجتمع الإسلامي السياسي، فكان بيدها

---

(١) الواقدي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد (ت: ٢٠٧ هـ)، كتاب المغازي، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤ هـ)، ج ٢ ،ص ٢٣٨،أبي الحديد المدائني، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد ، (ت: ٦٥٥ هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري(بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ) ، ج ١٧ ، ص١٥٤.

(٢) الواقدي ، المغازي، ج ٢ ، ص٩٩، الحلبي ،علي بن برهان الدين (ت: ١٠٤٤ هـ)، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٠هـ)، ج ٢ ،ص ٧١٣.

تغيير بعض الأحداث السياسية لقربها من الحاكم أو حاشيته حتى و لو كان دورها مخفياً خلف الستار.

العنف عند المرأة

ترتبط صفة العنف و القوة بالرجل دائما، وللعنف أسباب عدة منها "الانتقام"، وقد تكون المرأة في أحوال كثيرة قاسية لكن من القليل أن تكون عنيفة، فالعنف صفة تندر عند النساء، فقد عرف عنهن الرحمة والعطف والتسامح، ولكن المتتبع لتاريخ الشخصيات النسائية يجد بعض المواقف التي يبرز فيها عنف المرأة وانتقامها الذي يفوق أحياناً عنف الرجل، ولعل من أبرز تلك المواقف في التاريخ الإسلامي انتقام هند بنت عتبة -رضي الله عنها- ووحشيتها على حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه لقتله أهلها، حيث جعلت حرية عبدها مرهونة بقتله حمزة، ولم تكتف بذلك بل عندما قتل حمزة أقبلت على جثته فجدعت أنفه و بقرت بطنه ثم أخرجت كبده ولاكته بكل قسوة ووحشية ولفظته بعد ذلك(٣).

ولو تخيلنا ذلك المنظر لشعرنا بعنف هند وقسوة قلبها في ذلك الموقف والذي كان سببه الانتقام، وذلك قبل أن تعلن رغبتها للدخول في الإسلام وتتقدم إلى رسول الله راغبة طائعة وتكون ممن حسن إسلامهن من النساء رضي الله عنها وأرضاها.

الخيزران

حياتها ونشأتها

(٣) ابن إسحاق ، محمد بن يسار (ت: ١٥١هـ)، سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)، تحقيق: محمد حميد الله (معهد الدراسات والأبحاث، ب، ت، ط)، ج ٣،ص ٣١٢، الواقدي ، المغازي ، ج ١ ،ص ٢٤٨.

هي الخيزران بنت عطاء جارية عند المهدي(٤)، قيل إن أصلها من جُرش من بلاد اليمن، وقيل من البربر(٥)، كانت شاعرة أديبة بليغة(٦). روي عنها حديث يتصل سنده بابن عباس (٧).

أعجب المهدي بالخيزران وتزوجها فحظيت عنده بمكانة مميزة ، ولدت له ولدين هما الهادي وهارون الرشيد (٨).

كانت ذات دلال وقوة ونفوذ عاشت كزوجة خليفة مدللة لها رأي مسموع وكلام نافذ(٩)، تميزت بطيب شمائلها وحسن خلقها وكرمها فكانت لا ترد أحدا يطلبها (١٠).

---

(٤) النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٣٧٧هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب،تحقيق: فؤاد قميحة وآخرون(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ)، ج٢٢، ص٨٥.

(٥) ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت: ٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق: عبد الله القاضي(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ) ، م٥ ،ص ٢٧٧، الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت: ٧٦٤هـ) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى(بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ)، ج١٣،ص ٢٨٠، عبد الصبور، شاهين، إسلام ، الرفاعي، نساء وراء الأحداث(القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٦م)،ص ١٠٦

(٦) الابشيهي ، شهاب الدين محمد بن أحمد(ت: ٨٥٠هـ) ،المستطرف في كل فن مستظرف ، تحقيق: مفيد قميحة(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ)، ج٢،ص ١٢١.

=(٧) وقد روت الخيزران عن زوجها المهدي عن أبيه عن جده عن ابن عباس قال: قال رسول الله «من اتقى الله وقاه كل شيء» ، ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) ، المنتظم في تاريخ الأمم (بيروت: دار صادر، ١٣٥٨ هـ)، ج٨، ص٣٤٦، الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي أبو بكر (ت: ٤٦٣هـ) ، تاريخ بغداد (بيروت: دار الكتب العلمية،ب ،ت ، ط)،ج١٤،ص ٤٣٠.

(٨) الأندلسي ، العقد الفريد ٥/ ٩٥ ، القيرواني ، زهر الآداب وثمر الألباب ١/ ٢٣٢، الصفدي ، الوافي بالوفيات ١٣/ ٢٨٠ ، عبد الصبور شاهين، نساء وراء الأحداث ١٠٧.

(٩) الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير(ت: ٣١٠هـ)، تاريخ الطبري(بيروت: دار الكتب العلمية ،ب،ت،ط)، ج٤،ص٦٠٥ -٦٠٤، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص ٢٨٠.

أهم مواقفها الحاسمة

كانت الخيزران ذات كلمة مسموعة في البلاط العباسي، فدورها كزوجة خليفة وأم خليفة جعلها تأمر وتنهي دون رادع، فبالرغم من نفوذها في حياة زوجها إلا أن دورها الأكبر وسلطتها الأعظم ظهرت في حياة ولديها الهادي وهارون الرشيد(١١).

فخلال حكم الهادي كان الناس يفدون إليها لإجابة حوائجهم، حتى أصبح باب قصرها مزدحماً بالناس يرفعون إليها مطالبهم ورغباتهم حتى تنفذها لهم وفي ذلك يقول الشاعر:

يا خيزران هناك ثم هناك إن العباد يسوسهم ابناك(١٢)

واستمر الهادي يطيع أمه ويجيبها إلى ما تريد فترة ليست بالقصيرة، حتى طلبت منه أمراً فرفضه لأمور سياسية فغضبت عليه واشتد النقاش بينهما، فطلب منها التوقف عن قبول مطالب الناس وأن تحرص على عبادتها والاشتغال بنفسها عن التدخل في أمور الرجال والسياسة، حيث كان كثرة تردد الرجال والنساء عليها من مسلمين و ذميين قد أثار غضبه وغيرته، وهو ما رفضته وغضبت من أجله فساءت علاقتها بابنها لدرجة كبيرة حتى قررت مقاطعته (١٣).

وذكر بعض المؤرخين أنه من شدة سوء العلاقة بينهما حاول الهادي قتل والدته بأن بعث إليها بأكلة مسمومة، فقال لها: أني اشتهيتها

---

(١٠) ومن ذلك موقفها مع مزنة امرأة مروان بن محمد الأموي انظر: المسعودي الإمام أبو الحسن بن علي (ت: ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٨م)، ج٣،ص ٢٥٩-٢٦١.

(١١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٤،ص ٦٠٥-٦٠٤.

(١٢) المسعودي ،مروج الذهب، ج٣ ،ص ٢٧٢، الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ) ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري(لبنان: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ج١٠، ص٤٠.

(١٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٤،ص ٦٠٤-٦٠٥، البيهقي ، إبراهيم بن محمد (ت بعد: ٣٠٢هـ)، المحاسن والمساوئ ، تحقيق: عدنان علي(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ) ، ج١،ص ٤٠٢، المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣، ص٢٧٢.

فأكلتها فكلي منها، ولكن إحدى جواريها نصحتها أن تطعمها لكلب خوفا وريبة منها، فلما أطعمتها للكلب مات في الحال، فأرسل إليها بعد ذلك يسألها عن الأكلة هل أعجبتها، أجابت بالإيجاب رد عليها بأنها لم تأكلها ولو أكلتها لارتاح منها، وقال لها: " فما أفلح خليفة له أم " (١٤).

وهذه الرواية تحمل بداخلها الكثير من الأمور فهي تعطي دلالة قوية على ما وصلت إليه العلاقة السيئة بين الهادي وأمه الخيزران حتى تصل لدرجة رغبة كل منهما التخلص من الآخر، كما أن نصيحة جارية الخيزران بإعطاء تلك الأكلة للكلب قبل تذوقها توضح أن تلك العلاقة السيئة كانت واضحة للجميع بالقصر بل ربما كان الكل يتوقع أن يقضي كل منهما على صاحبه، كما أن الهادي اعترف لوالدته بأنها لو كانت أكلت من تلك الأكلة لارتاح منها أي لماتت، وأوضح في كلامه معها أنه لن يفلح مادامت على قيد الحياة، وأنه سيكون مرتاحاً أكثر بوفاتها.

ولعل رواية قتلها لابنها الهادي وانتقامها منه عند كثير من المؤرخين لهي دليل حي على ما وصلت إليه تلك العلاقة وما حملته من مشاعر الكره والانتقام من أم تجاه فلذة كبدها.

فيروي ابن كثير أن قتل الهادي كان سنة (١٧٠ هـ/ ٧٨٦م) على يد أمه الخيزران حيث قامت بإرسال جواريها لدس السم له (١٥)، أما الطبري فيذكر أن الخيزران لم تحزن أو تتأثر حال معرفتها باحتضار الهادي ومعاناته مع سكرات الموت، فلم تهتم لأمره ولم تحرص على الجلوس بالقرب منه والاهتمام به، و إن إحدى جواريها هي من حثتها على الدخول عليه ومواساته في كربته(١٦).

---

(١٤) البيهقي ، المحاسن و المساوئ،ص ٤٠٢، الطبري، تاريخ الطبري،ج٤،ص ٦٠٤، ابن تغري بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت: ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ب،ت، ط)، ج ٢ ،ص ٦٤.

(١٥) ابن كثير ، إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: احمد عبد الوهاب فتيح(القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٢م)، م١٠ ، ص١٧٠..

(١٦) الطبري، تاريخ الطبري، ج٤،ص ٦٠٨

كما يروي ابن الأثير أنه في وقت شدة مرض ولدها أمرت يحيى البرمكي بالاستعداد لكتابة الخطابات لعمال الولايات تنبؤهم بموت الهادي وتولي هارون الخلافة (١٧)، وفي هذا دلالة على استعجال الخيزران موته ورغبتها العاجلة بتولي هارون أمور الخلافة.

نستشعر من موقف الهادي وهو في سكرات الموت ندمه على إغضابه لوالدته ومحاولته كسب عطفها ونيل رضاها بعد أن أبعدها عن شؤون الحكم، موضحاً لها أنه عمل ذلك براً بها حيث كان يقصد الرفع من شأنها وإبعادها عن الأمور السياسية والتفرغ للأعمال الخيرية.

ولكن المؤرخ المسعودي ينفي هذه الحادثة جملة وتفصيلًا ويذكر أنها لم تكن السبب في قتل ابنها بل عندما أحس بدنو أجله طلب والدته الخيزران واعتذر منها عما بدر منه من إبعادها عن شؤون الحكم لحرصه على برها ومات ويدها بيده موضوعة على صدره (١٨).

وبالرغم من تكذيب المسعودي لرواية قتلها ابنها، إلا أننا لا نغفل عن حقيقة العلاقة المتوترة بين الهادي و الخيزران ومشاعر الغضب والحنق التي يحملها الطرفين لبعضهما البعض، والتي تفسر رغبة كل طرف بالتخلص من الآخر، فمع ابنها لم تكن قوية مترابطة، فمنعه لها من التدخل في أمور الحكم وإبعادها عن دروب السياسة وعدم انصياعه لأوامرها، مع علمه برغبتها القوية بالمشاركة بالأمور السياسية وأن تكون لها السلطة في القرارات السياسية كان سبباً مهماً لوجود فجوة بينهما، بالإضافة إلى ما وصلها عن نيته بالانتقام من أخيه هارون الرشيد والقضاء عليه لتولي ابنه من بعده حكم البلاد، وهو أمر سيغضب الخيزران بلا شك خاصة إذا علمنا مدى الحب الكبير الذي تحمله في قلبها تجاه ابنها هارون وحرصها الشديد على توليه الخلافة لما عرف عنه من أنه لا يخالف لها رأياً ولا يرفض لها طلباً وكان شديد الحب والتعلق بها (١٩).

وبهذا نلخص أسباب قتلها لابنها بعدة أسباب:

---

(١٧) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ (ط دار الكتب العلمية)، م٥،ص ٢٧٢

(١٨) المسعودي ، مروج الذهب، ج٣، ص٢٧٦

(١٩) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ (ط دار الكتب العلمية)، ج٥، ص٢٧٠-٢٧٣

-استبعاد الهادي لها من المشاركة في الشؤون السياسية.
-خوفها على ابنها هارون الرشيد من أن يفتك به أخوه الهادي وينصب ابنه بدلا عنه وريثاً للعرش.

أعمالها

عملت الخيزران خلال حياتها بعضاً من أعمال الخير والإحسان فيروى عنها أنها في عام(١٦١ه/٧٧٧م) اشترت داراً بمكة عرفت باسمها وبعدها تبرعت بها واتبعتها بالمسجد الحرام لزيادة توسعته(٢٠)، كما أنها أمرت بحفر نهر بالعراق قرب الأنبار اسمته الريان ولكنه يعرف الآن باسم المحدود وذلك لأن وكيلها قسمه أقساماً محددة وحدد لكل قوم قسماً ليقوموا بحفره (٢١).

توفيت الخيزران في حياة ابنها الرشيد بمدينة بغداد سنة(١٧٣ه/٧٨٩مـ)، وقد حزن عليها حزناً شديداً حتى أنه مشى بجنازتها حافي القدمين (٢٢).

أهم الصفات القيادية التي تمتلكها

-بلاغتها وفصاحتها وشاعريتها مما أكسبها محبة زوجها وتعلقه بها.
-تميزت بحب مساعدة الناس ولعل تدخلها في الأمور السياسية لم يكن سوى طريقة لمساعدة الآخرين وتفريج الأمور عليهم وإدخال السعادة إلى قلوبهم وهو ما حرصت عليه خلال حياتها.

---

(٢٠) ابن كثير،البداية والنهاية، ج١٠ ،ص ١٧٦، السفاريني ، محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ)، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)،ج ٢،ص ٨٨.

(٢١) البلاذري ، أحمد بن يحي بن جابر (ت: ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان(بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣ هـ)، ج ١ ، ص ٢٧٤ ، كحالة، عمر رضا ، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام (بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٩٥٩م)، ج١،ص ٣٩٨.

(٢٢) ابن كثير ، البداية والنهاية،ج١٠، ص١٧٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ط الكتب العلمية)، م٥،ص ٢٨٦.

-سيطرتها على الأمور السياسية الداخلية في الدولة من تعيين أو إقصاء في حياة ولديها.

-لم يؤثر حزنها على وفاة ابنها الهادي في ابتعادها عن الأمور الداخلية، بل كان تنصيب هارون الرشيد فرجاً لها ومنطلقاً للمشاركة في العمل السياسي.

ست الملك

حياتها ونشأتها

هي ست الملك ابنة الخليفة العزيز بالله الفاطمي، ولدت ببلاد المغرب سنة (٣٥٩هـ/ ٩٦٩م)[٢٣]، وكانت أمها جارية رومية نصرانية من سراري العزيز، تعرف بالست العزيزية كانت لها مكانة كبيرة في حياته، تربت ست الملك في القصر الفاطمي بوسط القاهرةوحازت على درجة كبيرة من حب أبيها،حيث أحاطها بكل أسباب الترف والثراء، حتى أنه بنى لها القصر الغربي لتعيش فيه بمفردها، وكان لها نحو أربعة آلاف جارية يقمن بخدمتها [٢٤]، وبالرغم من عيشة الترف إلا أن شخصيتها اتسمت بالرزانة والحزم وحسن الفعل والقول، فقد كانت تهتم بجلائل الأمور مبتعدة عن صغائرها [٢٥]، ولما تملكه من تلك الشخصية المتزنة العاقلة أصبحت موضع ثقة والدها، حيث كان يستشيرها في بعض الأمور، كما أوصاها برعاية أخيها بعد وفاته[٢٦].

أهم مواقفها الحاسمة

---

(٢٣) المقريزي ، تقي الدين أحمد (ت: ٨٤٥هـ) ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق جمال الدين الشيال (مصر: لجنة إحياء التراث)، م١،ص ٢٩٢.

(٢٤) المقريزي، تقي الدين أحمد (ت: ٨٤٥هـ)،المواعظ والأخبار بذكر الخطط والآثار ، تحقيق: محمد زينهم، مديحة الشرقاوي (مصر: مكتبة مدبولي، ١٩٩٨م)،ج٢،ص ٢٧١-٢٧٢.

(٢٥) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ،ج ٤ ،١٨٥،المقريزي ، المواعظ والأخبار ،ص ٢٧٢.

(٢٦) ديوان ، عبد الحميد، موسوعة أشهر النساء في التاريخ العربي (لبنان: كتابنا للنشر، ٢٠٠٨م) ،ص ٢٧٢.

بعد وفاة والدها تولى الحكم أخوها من أبيها الحاكم بأمر الله وقد كان عمره إحدى عشرة سنة(٢٧) وكانت تكبره بستة عشر عاماً (٢٨)، قامت بتنفيذ وصية والدها بكل حرص واهتمام فتميزت علاقتها بأخيها في بداية أمرها بعلاقة الوصاية والرعاية والاهتمام والمحبة، فكانت تهديه الأموال العظيمة والجوائز السنية وتتقرب إليه كثيرا (٢٩)، كما كانت تنصحه وتوجهه لما تراه خيراً للبلاد، وكان أخوها الحاكم في بداية أمره يتقبل مشورتها ويستعين برأيها ويستشيرها في كثيرٍ من الأمور، حتى أصبحت السيدة الأولى في القصر ذات القوة والنفوذ،و ما يؤكد ذلك ما روي أن باديس خليفة بني زيري أرسل سنة(٤٠٥ه/ ١٠١٤م)-، مجموعة من الهدايا القيمة إلى الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله وكانت معها هدايا أخرى نفيسة إلى الأميرة ست الملك بالرغم من وجود أم الحاكم وزوجته وهو دليل واضح على ما كانت عليه ست الملك من مكانة سياسية هامة (٣٠).

ولكن بعد فترة ليست بالطويلة بدأت العلاقة تتدهور رويداً رويداً، حيث بدأ الحاكم يسيء لشعبه ويتمادى في ظلمه لهم فكانت دائمة النصح والتوجيه له خوفاً من غضب الناس وثورتهم حتى لا يكون ذلك سبباً في نهاية الخلافة الفاطمية (٣١)، ولكنه كان قد ضاق ذرعاً بتلك النصائح كما

---

(٢٧) أبو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود (ت: ٧٣١هـ)،المختصر في أخبار البشر(القاهرة: مكتبة المتنبي ، د. ت)، ج١،ص ١٣١.

(٢٨) حيث ولد سنة ٣٧٥هـ ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا، م٢ ،ص ٣.

(٢٩) المقريزي ، المواعظ والأخبار ٢٧٢، ابن الزبير ، الرشيد (ت: ق٥ه) ، الذخائر والتحف ، تحقيق: صلاح المنجد(الكويت: دائرة المطبوعات،١٩٥٩م)، ص٦٨ ، ديوان ، أشهر النساء ،ص ٢٧٢

(٣٠) عبد الصبور شاهين ، نساء وراء الأحداث،ص ٢٩٦

(٣١) الذهبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: ٧٤٨هـ) ، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ)، ج ١٥ ،ص ١٨١، ابن تغري بردي ، يوسف بن الأتابكي(ت: ٨٧٤هـ) ، مرد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة،تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد (القاهرة: دار الكتب المصرية ، ١٩٩٧م)،ج ١،ص ١٩٦، كحالة، أعلام النساء، ج٢ ،ص ١٦٦، حسن ، محمد كامل ، سطور مع عظيمات(الكويت: دار البحوث العلمية ، ١٣٨٩هـ)،ص ٥٨.

بدأ بالقتل والتنكيل بكل من كان على علاقة وفاق معها ومن ذلك قتله للقاضي مالك بن سعيد بتهمة موالاته لست الملك سنة(٤٠٥هـ / ١٠١٤م)[٣٢]، وسرعان ما تطورت الأمور بين الأخت وأخيها واتسعت فجوة الخلاف بينهما فنرى الخليفة الحاكم يستمع لبعض الإشاعات المغرضة التي تتهم أخته في شرفها فيصدقها بل ويسمعها غليظ القول و يتهمها بالزنا والحمل السفاح [٣٣]، ولم يكتف بذلك بل ويرسل القابلات لاستبرائها وهو ما اعتبرته قذفاً واتهاماً باطلًا يسيء لسمعتها وهي في عمر الخمسين، فأيقنت بعد ذلك الاتهام أن تلك هي بداية النهاية في علاقتها مع أخيها بل وقد تكون خاتمتها على يده [٣٤]، فأخذت في تدبير الحيل لقتل أخيها الحاكم بأمر الله خاصة مع تماديه في ظلمه للناس من قتل ونهب [٣٥].

عمدت ست الملك سنة (٤١١هـ / ١٠٢٠م)إلى أكبر أمراء الحاكم الأمير سيف الدين ابن دواس والذي لم يكن على وفاق معه، وطلبت منه مساعدتها في قتل الحاكم وأخبرته أن الحاكم ينوي قتله وقتلها، أجابها ابن دواس إلى طلبها واتفق معها على خطة لقتله كانت من تدبيرها [٣٦]، حيث قالت" اندب إليه جماعة من العبيد يقتلونه إذا خرج إلى حلوان، فانه ينفرد في ذلك المكان بنفسه، فيخرجوا عليه ويقتلوه هناك " كما وعدته ورغبته بوعود سنية فقالت له: " وتكون أنت المدبر للملكة بعده، وتولي ابنه الأمير علي"[٣٧].

---

(٣٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا، م٢ ، ص ١٠٧.

(٣٣) المقريزي ، اتعاظ الحنفا، م٢ ،ص ١١٥، حسن ، سطور مع عظيمات،ص ٥٨.

(٣٤) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ،ج ٤،ص ١٨٥.

(٣٥) ابن إياس ، محمد بن أحمد (ت: ٩٣٠هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٢هـ)، القسم الأول ، ج١، ص٢٠٩، أبي الفداء ، المختصر ،ج١-٢،ص ١٥١، كحالة، أعلام النساء، ج٢ ، ص١٦٦.

(٣٦) المقريزي ، اتعاظ الحنفا، م٢ ،ص ١١٥،عبد الصبور شاهين، نساء وراء الأحداث،ص ٣٠٧.

(٣٧) ابن إياس ، بدائع الزهور، ج١،ص ٢٠٩، كحالة، أعلام النساء ، ج٢،ص ١٦٧، ديوان ،أشهر النساء ،ص ٢٧٤-٢٧٦.

ومما يبدو أن الحاكم كان يتوقع القتل غيلة من قبل أخته ست الملك حيث نراه بنفس الليلة التي قتل فيها يدفع إلى أمه خمسمائة ألف دينار ذخيرة لها وخوفاً عليها من بطش أخته ست الملك في حالة قتلها إياه(٣٨).

قتل الحاكم على يد ابن دواس وجماعته وبتحريض من ست الملك، ولكن ما أن انتهت مهمة ابن دواس حتى عمدت ست الملك المشهورة بذكائها وحسن تدبيرها (٣٩) إلى القضاء على ابن دواس نفسه وكان ذلك حتى تنهي كل ماله علاقة أو علم بقتلها للحاكم، وبعدها تولت زمام أمور دولة ابن أخيها علي الظاهر لدين الله (٤٠).

ويذكر المقريزي وفاة الحاكم دون ذكر لدور ست الملك في موته، فيذكر أنه في سنة(٤١٥هـ / ١٠٢٤م) بعد وفاة الحاكم بأربع سنوات قبض على رجل من بني الحسين من صعيد مصر اعترف بقتله للحاكم بأمر الله، ووجد معه قطعة من القماش الذي كان على الحاكم وقطعة من جلد رأسه، وأنه قتله غيرة لله وللإسلام، يقصد بذلك من ادعاء الحاكم للألوهية (٤١).

رواية المقريزي لا تنفي قتل الحاكم على يد أخته ست الملك، فحتى لو كان الرجل صادقاً بادعائه بقتل الحاكم وأن ما يملكه من قماش أو جلد رأس هي للحاكم فعلاً، فقد يكون هو أحد من شارك ابن دواس بقتل الحاكم، وهناك احتمال أن يكون قد أخذ القماش والجلد من جثة الحاكم بعد مقتله وخاصة أنه قتل وظلت جثته مكشوفة عدة أيام حتى عثر عليه أتباعه، وبهذا فنعتقد أن رواية المقريزي لا تنفي قتل ست الملك لأخيها.(٤٢)

وبهذا نلخص أسباب قتلها لأخيها بعدة أسباب:

---

(٣٨) المقريزي ، اتعاظ الحنفا، م٢ ،ص ١١٦.

(٣٩) ابن إياس ، بدائع الزهور، ج١،ص ٢٠٩.

(٤٠) ابن إياس ، بدائع الزهور، ج١،ص ٢١١، كحالة، أعلام النساء ، ج٢،ص ١٦٧، ديوان ،أشهر النساء ، ص٢٧٧.

(٤١) المقريزي ، الخطط والآثار ، ج٢، ص٣٩.

(٤٢) أبو الفداء ، المختصر ،ج١-٢،ص ١٥١.

-خوفها من ثورة الناس ضده وبالتالي نهاية الحكم الفاطمي لمصر.
-إساءته إليها من خلال طعنه بشرفها وعذريتها.
-خوفها على نفسها منه وأن تكون نهايتها على يده.

أعمالها

كانت ست الملك أميرة غير عادية فقد استطاعت في خلافة ابن أخيها الظاهر أن تكون المدبر الأول والحاكم الفعلي لشؤون البلاد، حيث استمرت هذه الأميرة لأربعة أعوام بعد مصرع أخيها تدبر شئون الدولة [٤٣]وتدير أمورها بهمة وبراعة، فكانت تغدق على شعبها بكل كرم وسخاء حتى أحبها الناس ودعوا لها بطول العمر لما لمسوه منها من رعاية واهتمام وإنصاف وعدل [٤٤]، واستمرت في إدارتها لحكم البلاد حتى وافتها المنية في أواخر عام (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م)- [٤٥]، وهي في الخامسة والخمسين من عمرها بعد أن استطاعت خلالها بفضل كياستها وذكائها وحسن تدبيرها أن تقود البلاد وتسير الناس حتى استقرت الأمور وهدأت الأوضاع في فترة تحتاج فيها لمن يخرجها من عثرة عانت منها زمناً طويلاً زمن أخيها الحاكم[٤٦].

أهم الصفات القيادية التي تمتلكها

- عدم العطف أو التساهل مع الخصوم أو ممن تتوقع منهم ضرراً مباشراً عليها ومن ذلك قتلها لابن دواس بعد مساعدته لها في قتل الحاكم،

---

(٤٣) البدوي، خليل، شهيرات النساء(الأردن: دار أسامة للنشر، ١٤١٩هـ)،ص١٤٢، حسن ، سطور مع عظيمات، ص٥٨

(٤٤) فواز، زينب، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ج١، شبكة المشكاة الإسلامية الالكترونية،ص ٣٢٨، حسن، سطور مع عظيمات،ص ٥٨

(٤٥) ابن إياس، بدائع الزهور ، ج١، ص٢١١، كحالة،أعلام النساء ، ص١٧٠،أبي الفداء ، المختصر ،ج١، ص ١٥١

(٤٦) ابن إياس ، بدائع الزهور، ج١،ص ٢٠٩، ديوان ،أشهر النساء ،ص ٢٧٨، حسن ، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني (القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٦٤م)،ج٤،ص ٦٤٢

وقتلها لابن عمها قبيل أيام من وفاتها وذلك خوفاً من أن يتولى السلطة ويأخذ الحكم من ابن أخيها الظاهر.

- قدرتها على اختيار الشخصيات التي تتوقع منها الولاء والطاعة كاختيارها لابن دواس لقتل الحاكم لما علمته من خلاف مستتر بين الاثنين.

- قدرتها على ضبط البلاد وكسب الناس حولها وذلك بحل مشاكلهم وتوزيع الأموال والهبات عليهم.

- نشأت في بيئة غنية مدللة مترفة مسموعة الرأي من قبل والدها مما أعطاها شعوراً بالثقة بالنفس والقدرة على إدارة شؤون البلاد وهو ما جعلها تتدخل بشكل كبير في تصرفات أخيها الحاكم محاولة فرض رأيها وسيطرتها عليه.

- بالرغم مما قيل عن ست الملك من محاولتها تصحيح الأوضاع في البيت الفاطمي خلال فترة حكم أخيها والتي تمادى فيها بآرائه المجنونة ومحاولة تقريبه للصواب إلا أنها لم تقدم على تصحيح الأوضاع بطريقة جادة وسريعة إلا بعد أن تيقنت بتهميش الحاكم لها وتقليله من شأنها واتهامها بالحمل السفاح وهو ما اعتبرته بداية النهاية لحياتها وعندها عزمت على أن تعيش براحة وأمان وذلك بقتل الحاكم وتولي أمور البلاد بدلاً عنه ولو بطريقة مستترة خلف حاكم صغير يطيع أوامرها ولا يعصى لها أمراً.

زمرد خاتون

حياتها ونشأتها

زمرد خاتون أو صفوة الملك أميرة تركمانية هي ابنة الأمير جاولي حاكم القدس، والدها وعمها من قادة السلاجقة، أما أخوها لأمها فهو صاحب دمشق دقماق بن تتش السلجوقي، تزوجت من الأمير بوري ابن

طفتكين وأنجبت منه ولدين، ثم ما لبث زوجها أن ورث من والده حكم دمشق فأصبحت زمرد ملكة لدمشق سنوات عدة (٤٧).

كانت أميرة عالمة تميزت بتدبيرها ورجاحة عقلها(٤٨)، عرف عنها منذ صغرها حبها للعلم واشتغالها فيه ومحبتها للعلماء والفقهاء وأهل العلم، قرأت القران الكريم ثم حفظته كاملاً، وتوجهت بعدها لدراسة الحديث الشريف، و اشتغلت بعدها بتعلم الفقه على يد علماء عصرها ودرسته على مذهب أبي حنيفة النعمان، كما قامت بنسخ الكتب (٤٩).

كانت محبة للعلم وفعل الخير فبنت المدارس وعملت عليها الأوقاف الكثيرة، كل ذلك رغبة في نشر العلم وانتشاره بين الناس ، ومن أشهر مدارسها المدرسة الخاتونية بدمشق (٥٠).

---

(٤٧) النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت: ٩٧٨هـ) ، الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ)، ج١،ص٣٨٥، ابن العماد ، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي الحنبلي(ت: ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، تحقيق محمود الأرناؤوط(دمشق: دار ابن كثير ، ١٤٠٦هـ) ، م٦،ص ٢٩٨

(٤٨) الدمشقي ، الدارس، ج١،ص ٣٨٥، مارديني ، عبد الرحيم، موسوعة مشاهير وعظماء وشخصيات من العالم(دمشق: دار المحبة، ٢٠٠٣م)ص ١٩٠

(٤٩) ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامه العمري(بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م) ج٦٩، ص١٦٧، كحالة ، أعلام النساء ،ص ٣٧ ، مارديني ، موسوعة مشاهير وعظماء وشخصيات من العالم، ص١٩٠

(٥٠) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٦٩،ص ١٦٧-١٦٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ط دار الكتب العلمية) م٥، ص٣٠٠، كحالة ، أعلام النساء ، ص٣٧

أهم مواقفها الحاسمة

توفي زوجها الأمير بوري ملك دمشق سنة(٥٢٦هـ / ١١٣١م) (٥١)، وتولى الحكم من بعده ابنها الأكبر شمس الملوك إسماعيل بن بوري، فسار في بداية حكمه بالناس خير سيرة لكنه سرعان ما تغير حاله وكثر قبح أفعاله، فقبض على أصحاب أبيه وخاصته وعذبهم وقتل عدداً منهم، ولم يسلم بقية الشعب من شره حيث أهان رعيته وظلمهم فنفر منه الجميع وتمنوا هلاكه والقضاء عليه(٥٢)، فكان من ظلمه وقسوته على أهل مدينته أنه طلب من بعض جيرانه من الأمراء مساعدته على أهل دمشق حيث أرسل إلى عماد الدين زنكي يطلب منه مساعدته في الانتقام من أهلها وأنه سيعطيه دمشق مقابلاً لذلك وأنه لو تأخر أو رفض فسيسلم دمشق للفرنج (٥٣)، وفي الوقت نفسه قام بمهادنة الفرنج أعداء الدولة والدين ومصالحتهم وقرر السماح لهم بدخول دمشق وتولي الحكم فيها بعد أن نقل ماله وأملاكه إلى حصن صرخد خارج دمشق(٥٤).

وحقيقة ليس لهذا التغيير من سبب واضح، فتنازله عن بلاده بكل سهولة لأعدائه وانتقاله إلى أحد الحصون خارج دمشق قد يكون بدافع الانتقام من أهل دمشق وهو الأمر الذي لم يعرف له سبب محدد.

وإزاء هذه التطورات العظيمة والشكاوى الكثيرة على شمس الملوك لم تستطع أن تقف والدته زمرد خاتون موقف المتفرج على خيانة ابنها لوطنه وملكه فأسرعت بإصدار أمر يقضي بإنهاء أمر تلك الجرائم والتخبطات السياسية التي يقوم بها، فقررت القيام بأمر يخالف عاطفة الأمومة ويقف مع الحق مهما كان الثمن غاليا جداً.

---

(٥١) ابن الأثير ، في التاريخ ، ط صادر ، م١٠ ، ص٦٧٩، ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٦ ،ص ١٢٩.

(٥٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ط صادر)، م١١، ص٢٠، ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٦،ص ١٤٨

(٥٣) ابن العديم، كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد (ت: ٦٠٠هـ)، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق: خليل المنصور (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ) ص٣١١، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ (ط صادر)، م١١،ص ٢٠.

(٥٤) ابن العديم، زبدة الحلب ، ج١، ط١، ص٣١١، كحالة ،أعلام النساء ،ص ٣٧.

فقد أصدرت الملكة زمرد خاتون أوامرها لخدمها بقتل ابنها شمس الملوك والقضاء عليه في قلعة دمشق سنة (٥٢٩هـ/ ١١٣٤م)، وأمام الجميع حتى يشاهدوا مصرعه وكيفية موته وذلك حتى تحفظ بلاد المسلمين من خيانته وشروره (٥٥).

وإن كان ابن الأثير يرى أن السبب الحقيقي لقتل زمرد خاتون لابنها اتهامه لها في عرضها مع حاجب والده يوسف بن فيروز الذي هرب إلى "تدمر " خوفاً على حياته من شمس الملوك، بل ذكر ابن الأثير أن شمس الملوك كان ينوي قتلها والقضاء عليها بسبب ذلك الأمر، وعندما وصل إلى مسامع زمرد خاتون نيته تلك عزمت على قتله خوفاً منه(٥٦)،إلا أننا لا نعتقد أن هذا هو السبب في قتلها لابنها، لما عرف عن زمرد خاتون من حزم وورع وصلاح ديني (٥٧) يبعدها عن مواطن الشبهات و عمل الزلات، وقد يكون السبب الأرجح الذي جعلها تقدم على قتل ابنها هو تخبطاته السياسية وخيانته لأمته والتي كان أبرزها نيته تسليم البلاد الإسلامية للفرنج.

بعد مقتل شمس الملوك قامت زمرد خاتون بتنصيب ابنها الآخر شهاب الدين محمد بن بوري لتولي شؤون البلاد لكنه سرعان ما قتل على يد غلمانه سنة(٥٣٣هـ / ١١٣٨م) وذلك بعد أربع سنوات من توليه الحكم (٥٨).

و بالرغم من ابتعاد زمرد خاتون في بداية عهدها عن الأمور السياسية إلا أنها كانت المتحكم والمسيطر على الأوضاع في عهد ابنها شهاب الدين، فنجدها تقرر وتلقي الأوامر السياسية المهمة (٥٩)، كما أن

---

(٥٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ (ط صادر)، م١١ ،ص ٢٠-٢١، ابن العماد ، شذرات الذهب ،م٦،ص ١٤٨، كحالة ، أعلام النساء ،ص ٣٧.

(٥٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ (ط صادر)، م١١ ،ص ٢١.

(٥٧) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٦٩، ص١٦٧،البدوي، شهيرات النساء، ص١٣١.

(٥٨) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ (ط صادر)، م١١ ، ص٦٨، ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٦،ص ١٤٨، كحالة ،أعلام النساء ،ص ٣٧-٣٨.

(٥٩) ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٦، ص١٧٠

موافقتها على الزواج من عماد الدين زنكي سنة (٥٣٢هـ/ ١١٣٧م) وهي في سن كبيرة(٦٠)، لهو دليل على قوة شخصيتها و توليها زمام الأمور فلم يكن هناك من يقف أمامها أو يرفض تنفيذ رغباتها، خاصة بعد موافقتها على طلبه لإتمام الزواج والمتمثل بتنازلها عن حمص التي كانت تقبع تحت حصاره (٦١)، ومن هنا يتضح لنا من خلال قبولها لهذا الطلب تفكيرها السياسي السليم للحفاظ على دمشق من موجة الزحف الزنكي و المحافظة على أملاك ابنها حيث أنها تنازلت عن مدينة محاصرة في سبيل الحفاظ على بقية الأملاك، ولزيادة حرصها وحذرها مع تيقنها الداخلي ومعرفتها التامة بأن طلب عماد الدين زنكي للزواج منها وهي بهذا السن ما هو إلا وسيلة لضم دمشق إلى حوزته(٦٢)، فإنها تركت ديارها متوجهة إلى حلب(٦٣) ديار زوجها حتى لا تكون حجة له لدخول دمشق ومن ثم تملكها، وهو ما حدث فلم يتمكن بعدها من ضم دمشق إليه(٦٤).

توفي زوجها عماد الدين زنكي سنة (٥٤١هـ / ١١٤٦م) (٦٥)بعد أن عاشت معه قرابة العشر سنوات قضاها في الجهاد ومحاربة الصليبيين، وبعدها تركت حلب و عادت إلى دمشق ولكنها لم تلبث فيها طويلاً حيث سرعان ما غيرت وجهتها إلى الديار المقدسة فذهبت إلى مكة للحج وظلت بها فترة ثم قررت الانتقال والإقامة في المدينة المنورة تقضي فيها بقية عمرها لتعبد ربها مبتعدة عن مظاهر الحياة وزينتها، ولأنها كانت ومنذ نشأتها سيدة فاضلة ورعة مولعة بأعمال الخير والبر، فإنها عند مغادرتها لدمشق لم تحمل معها إلا القليل من الأموال في رحلتها والتي سرعان ما نفذت منها في المدينة المنورة، فعمدت وهي الكبيرة في السن

---

(٦٠) النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٧ ، ص ٥٩ ،كحالة ،أعلام النساء ،ص ٣٨

(٦١) أبو العساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٦٩،ص ١٦٧-١٦٨

(٦٢) النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب،ج ٢٧ ،ص ٥٩.

(٦٣) ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٦،ص ١٤٨، البدوي، شهيرات النساء،ص ١٣٢.

(٦٤) النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب،ج ٢٧ ،ص ٥٩.

(٦٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ (ط صادر)، م١١ ،ص ١١٠

إلى العمل لتقيم صلبها وتعيش يومها فكانت تغربل القمح والشعير وتطحنهما ثم تبيعه على الناس فعاشت حتى آخر أيام حياتها تأكل من كسب يدها وعرق جبينها بالرغم من كبر سنها وشيخوختها (٦٦).وقد يكون اختيارها للمدينة المنورة لتبقى فيها بقية أيامها مع عيشة الكفاف والكسب من عمل يدها هو نتيجة طبيعية لشخصيتها المتدينة الورعة الحريصة على أعمال الخير ونيل الأجر والثواب من الله عز وجل.

كانت هذه الحياة الخشنة المتقشفة هي آخر أيام زمرد خاتون حيث توفيت سنة (٥٥٧هـ/ ١١٦١م) ودفنت بالبقيع(٦٧).

وبهذا نلخص أسباب قتلها لابنها بعدة أسباب:

-حرصها على البلاد الإسلامية وعدم تسليمها للإفرنج.

-استياؤها من إهانته لها بطعنها بشرفها مع حاجب والده السابق.

-خوفها من أن يقضي عليها وتكون نهايتها على يده بسبب شكه بها.

أعمالها

لم تحرص زمرد خاتون على التدخل في الأمور السياسية إلا ما كان منها مخالفاً للشريعة الإسلامية كتصرفات ابنها شمس الملوك فكان جل اهتمامها ينصب على العلم والعلماء، فكانت تسابق أهل عصرها في نشر العلم والدين والتشجيع عليه، فبنت المدارس والمساجد وحلقات العلم والقران و بنت مسجداً أسمته مسجد الأصحاب كما بنت مدرسة عظيمة للفقه كانت من أكبر وأشهر المدارس في وقتها تخرج منها العديد من العلماء والفقهاء على المذهب الحنفي، ولعل أبرز أعمالها المدرسة الخاتونية الشهيرة بدمشق (٦٨)، التي أوقفت عليها الأموال العظيمة والأوقاف الكثيرة (٦٩)، وهي مدرسة دينية علمية كانت لها شهرة كبيرة في ذلك الوقت، وهي من المدارس التي بقيت زمناً طويلاً منذ نشأتها حتى

---

(٦٦) ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٦، ص٢٩٨، البدوي، شهيرات النساء، ص١٣٢.

(٦٧) ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٦،ص ٢٩٨،كحالة، أعلام النساء ، ج٢،ص ٣٨

(٦٨) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ (ط صادر) ، م١١ ، ص٥٥، البدوي، شهيرات النساء،ص ١٣١.

(٦٩) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٦٩،ص ١٦٧،البدوي، شهيرات النساء ،ص ١٣١

نهاية العصر المملوكي مزدهرة بأنواع العلوم تخرج المشايخ الفضلاء والفقهاء العلماء (٧٠).

أهم صفاتها القيادية

-قدرتها على اتخاذ القرارات المهمة والمصيرية دون تردد أو عطف فعندما رأت أن من الخير للبلاد إبعاد ابنها شمس الملوك عن الحكم قامت بتصفيته، وفي قصرها وتعيين أخيه بدلا منه ولم تكن عاطفة الأمومة لتمنعها عما فيه خير لشعبها.

-إدارتها لشؤون البلاد لفترات متقطعة بعد وفاة زوجها وخلال حكم أبنائها وقدرتها على ضبط أمور الدولة بشكل حسن.

-ظهرت شخصيتها القيادية بشكل واضح بعد وفاة زوجها أما في حياته فكان شغلها الاهتمام بالعلم والعلماء ودروس القرآن.

-انتقالها من دمشق إلى حلب بعد زواجها من عماد الدين زنكي دليل وعيها وحذقها لما كان ينوي عليه عماد الدين من تملك دمشق وضمها تحت سيطرته وفهمها للخطط والمكر السياسي.

- كما كان في انتقالها لحلب إشارة إلى تضحيتها للانتقال والعيش بديار غير ديارها حماية لبلدها وخوفا عليها.

-قد يكون حزمها وورعها وصلاحها الديني سبباً مهماً في خوفها من الله وذلك بتطبيقها لشرع الله بالقصاص ممن خان أمانة المسلمين وحاول بيع ديارهم للمسيحيين حتى لو كان هذا الخائن هو ابنها.

شجرة الدر

حياتها ونشأتها

شجر الدر بنت عبد الله، جارية تركية بارعة الحسن والجمال تزوجها الملك الصالح أيوب فأسرت قلبه وروحه وأصبحت محظية عنده

(٧٠) النعيمي ، الدارس، ج١،ص ٣٨٥، كحالة ، أعلام النساء ، ص٣٧

(٧١)، أنجبت منه ابنها الخليل الذي توفي في حياة والده، كانت ذات رأي وتدبير وعقل فاعتمد عليها الملك الصالح في جميع أموره ومهامه (٧٢)، ولعل هذا الأمر من أهم أسباب حسن إدارتها للبلاد وكيفية تنظيم الأمور وترتيبها داخل مصر وخارجها بعد وفاته وعند توليها حكم البلاد.

أهم مواقفها الحاسمة

كانت لشجرة الدر مكانة خاصة عند الملك الصالح فكان لا يفارقها في حل أو ترحال، كما كان يعتمد عليها ويشاورها في بعض الأمور مما مكنها من معرفة دهاليز السياسة عن قرب، وهو ما ساعدها في إدارتها لأمور الجيش بعد وفاة زوجها الملك الصالح سنة(٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)، وكتمانها خبر موته ومحاولتها تهدئة الأمور لحين تولي ابنه توران شاه زمام حكم البلاد (٧٣)، فكانت توقع التواقيع وتدبر شؤون البلاد وتقضي حوائج الناس، حتى استطاعت بفضل حنكتها وحسن تدبيرها أن تحفظ له البلاد من الفوضى والاضطرابات وتسلمها له بهدوء وروية في وقت كانت فيه مصر تعاني ويلات الحروب الصليبية (٧٤).

---

(٧١) ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت: ٦٩٧هـ) ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٤م)، ص٢٠١، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٧، ص٤٦٣-٤٦٤، كحالة ، أعلام النساء ، ج ٢، ص٢٨٦

(٧٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ص٢٠١، ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد ايدمر (ت: ٨٠٩هـ)، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: سعيد عاشور، مراجعة: أحمد السيد دراج، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ب،ت،ط، ص٢٤٦، العيني، بدر الدين محمود(ت: ٨٥٥هـ)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حققه: محمد محمد أمين(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٧هـ)، ص١٦٥، كحالة ، أعلام النساء ، ج ٢، ص٢٨٨.

(٧٣) ابن العماد، شذرات الذهب ، ج٧،ص٤١١، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، م٦، ص٣٣٣.

(٧٤) ابن دقماق ، الجوهر الثمين، ص٢٥١، المقزيزي ، الخطط والآثار ، ج٣، ص٤٦٦، ابن الوكيل ، يوسف الملواني، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب ، والذيل تأليف: مرتضى مصطفى بن حسن الكروي الدمشقي ، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم(مصر: دار الكتاب الجامعي، ب، ت،ط)، ص٧٠، كحالة ، أعلام النساء ، ج ٢، ص٢٨٧.

لم تستطع شجر الدر أن تتجاهل سوء سلوك توران شاه وعدم حفظه لجميلها في حفظ البلاد عند وفاة والده، بل وتهديده لها بالقتل إن لم ترجع أموال والده التي يعتقد أنها استولت عليها وهو ما رفضته جملة وتفصيلاً، فخافت منه على نفسها فعمدت بذكائها إلى إثارة المماليك البحرية ضده (٧٥)، خاصة مع نقمتهم عليه لتجاهلهم وعدم الرجوع إليهم ومخالفته نصائحهم، واستطاعوا بموافقتها القضاء عليه وقتله سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٤٨م)(٧٦).

وبذلك فشجرة الدر وإن لم تكن السبب الرئيسي في قتل توران شاه إلا أن لها دورًا مهماً وحاسماً في المشاركة بقتله وإن كان ذلك الدور غير واضح بشكل كبير أمام الجميع.

بعد مقتل توران شاه لم تجد أحدا أحق بالملك منها فأعلنت نفسها وبموافقة المماليك البحرية ملكة على مصر لمدة قاربت الثمانين يوماً (٧٧)، كانت أمورها في حكم البلاد تنم عن شخصية قيادية فذة حيث استطاعت أن تسير أمور الدولة بشكل منظم وهادئ يتناسب مع قدرتها العقلية العظيمة، فأدارت الحكم بحزم وقوة وسياسة حسنة مرنة بالوقت نفسه حتى استطاعت أن تكسب قلوب الجميع (٧٨)، ولكن الأمور لم تستمر كما تريد حيث جاء الرفض من الخليفة العباسي بأن بلداً إسلامياً عظيماً كمصر لا يجب أن تكون قيادته بيد امرأة، فقررت أن تتنازل عن الحكم

---

(٧٥) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، م٦، ص٣٣٢، كحالة ، أعلام النساء ، ج ٢، ص٢٨٧،الهاشمي، عبد المنعم ، موسوعة تاريخ العرب –العصر الأيوبي–(بيروت: دار البحار ، ٢٠٠٦م)، ص٣٢٩.

(٧٦) ابن دقماق ، الجوهر الثمين، ص٢٤٩،الأتاوني،أحمد، دمشق في العصر الأيوبي، تقديم: سهيل زكار(دمشق: التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ٢٠٠٧م)، ص١٤١، كحالة ، أعلام النساء ، ج ٢، ص٢٨٧، الهاشمي، العصر الأيوبي، ص٣٣٠

(٧٧) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ص ١٨٢، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، م٦، ص٣٣٣، ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٢٥١.

(٧٨) ابن الوكيل، تحفة الأحباب، ص٧٠، الهاشمي ، عبد المنعم ، موسوعة تاريخ العرب–عصر المماليك والعثمانيين–(بيروت: دار البحار، ٢٠٠٦م)، ص١٢.

للقائد المملوكي المعز أيبك الذي كان نائباً لها و أتابكاً للعسكر وقت حكمها لمصر (٧٩).

حكم المعز بلاد مصر وفي الوقت نفسه عقد زواجه على شجرة الدر التي ما رغبت بالبعد عن الحكم وإدارة البلاد خاصة بعد أن ذاقت حلاوته (٨٠)، فوافقت على الزواج لتكون قريبة من دهاليز السياسة وشؤون الحكم والأمر والنهي ولكن بصورة خفية تحت اسم زوجة السلطان المملوكي.

بدأت شجرة الدر بالمشاركة السياسية للبلاد، فكانت تقوم بدور الناصح مرة والمتحكم بالأمور مرات عديدة، وكنتيجة مؤكدة لرجل ولي حكم البلاد المصرية رفض المعز أيبك أن تسيطر عليه امرأة تتحكم بأموره وتؤثر على قراراته فسرعان ما ضاق ذرعاً بتدخلات شجرة الدر وحاول التخلص من سيطرتها عليه، خاصة مع محاولة تحكمها في حياته الخاصة و أموره الأسرية حين حاولت إقناعه بتطليق زوجته أم ابنه علي، وإبعاده عنها والتقليل من زيارته لها (٨١)،كما كانت دائماً ما تشعره بأن لها الفضل فيما وصل إليه من حكم للبلاد (٨٢)، بل عندما وصل إلى علمها خبر خطبته من ابنة صاحب الموصل اشتعلت الغيرة في قلبها وتصرفت بطبيعتها الأنثوية دون تحكيم لعقلها وفكرها فاعتبرت أن هذا الأمر دليل واضح على رغبته في إبعادها عن حياته بل و ربما محاولة منه للتخلص منها، فعزمت على أن تقضي عليه قبل أن يقضي عليها خاصة وأن هناك من حاول إبلاغها برغبته بالقضاء عليها(٨٣).

---

(٧٩) ابن دقماق ، الجوهر الثمين، ص٢٥٢ ،كحالة ، أعلام النساء ، ج ٢، ص٢٨٨.

(٨٠) ابن إياس ، النجوم الزاهرة، ج١ ، ص٢٨٨.

(٨١) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٢٦١، كحالة ، أعلام النساء ، ج ٢، ص٢٨٩ ،الهاشمي ، عصر المماليك والعثمانيين، ص٢١.

(٨٢) ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج١ ، ص٢٩٣.

(٨٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ص١٩٤، ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٢٦١، كحالة ، أعلام النساء ، ج ٢، ص٢٨٩ ،الهاشمي، عصر المماليك والعثمانيين، ص٢١-٢٢.

ومما يبدو أن كلا الزوجين لم يستأمنا جانب بعضهما البعض بعد خطبة المعز لابنة صاحب الموصل ودخلت بينهما الوحشة والخوف وعدم الأمان، فأخذ كل طرف يحاول حماية نفسه من الآخر بل ويفكر في طريقة للقضاء عليه قبل أن يقتله الثاني ويقضي عليه ويبدو أن شجرة الدر كانت هي الأسرع.

عمدت شجرة الدر إلى التخطيط لقتل زوجها وسارعت بالتنفيذ وبخطة محكمة ودهاء نسائي استطاعت خداعه فاستدرجته لقصرها معلنة له السمع والطاعة وعند دخوله للحمام أرسلت إليه عبيدها حيث دخلوا عليه وانقضوا عليه وقتلوه خنقاً في الحمام سنة(٦٥٥ه/ ١٢٥٧م) ـ(٨٤).

بعد مقتل المعز أيبك قام المماليك البحرية بمحاولة حماية شجرة الدر بوضعها في البرج الأحمر بعيداً عن أيدي المماليك المعزية إلا أن ضرتها وعدوتها القديمة أم علي زوج المعز أيبك حاولت إقناع البحرية بتسليم شجرة الدر لها لتأخذ ثأرها منها وبالفعل أرسلت شجرة الدر إلى القلعة ذليلة منكسرة، فأمرت أم علي جواريها بضربها بالقباقيب على كل جسمها حتى ماتت، ثم طرحوا جثتها من فوق سور القلعة وهي شبه عارية ودفنت بعد ثلاثة أيام سنة(٦٥٥هـ/١٢٥٧م) (٨٥).

وبهذا قد يكون السبب في قتلها توران شاه: خوفها على نفسها منه واستياءها من مضايقته لها واتهامها بسرقة أموال والده.

أما قتلها لزوجها المعز ايبك فنلخصه بعدة أسباب:

-تهميشه لها وعدم الأخذ بآرائها السياسية.

-غيرتها الشديدة عند معرفتها بخبر خطبته لابنة حاكم الموصل للزواج عليها.

---

(٨٤) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ص١٩٥، ابن عماد، شذرات الذهب ، ج٧، ص٤٦٢، ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٢٦١، كحالة ، أعلام النساء ، ج ٢، ص٢٨٩، شبارو، عصام محمد، السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري(بيروت: دار النهضة، ١٩٩٤م)، ص١٣-١٤.

(٨٥) ابن عماد ، شذرات الذهب ، ج٧، ص٤٦٤، ابن الوكيل ، تحفة الأحباب ، ص ٧١، العيني ، عقد الجمان، ص١٤٣، كحالة ، أعلام النساء ، ج ٢، ص٢٩٠، عصام شبارو، السلاطين في المشرق العربي، ص١٤.

-خوفها منه وعدم استئمانها نفسها عنده وأن تكون نهايتها على يده.

أعمالها

بالرغم من أن جل فترة حياة شجرة الدر قضتها حريصة على المشاركة في الشؤون السياسية وإدارة الحكم وتسيير أمور البلاد، إلا أنه كان لديها بعض من أعمال البر و الخير، فروي أن لها أوقافاً قريبة من تربة مشهد السيدة نفيسة وهو المكان الذي دفنت فيه، كما ذكر أنها بنت مدرسة عرفت باسمها "مدرسة شجرة الدر"، كما بنت حماماً عرف بحمام الست، وعندما تيقنت بقرب موتها بعد قتلها للمعز أيبك قامت بتوزيع أموالها ومجوهراتها (٨٦).

(٨٦) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، م٦، ص٣٣٧، كحالة ، أعلام النساء ، ج٢، ص٢٨٨-٢٩٠

أهم الصفات القيادية التي تمتلكها

-قربها الشديد من زوجها وثقته بها وأخذ رأيها في الأمور السياسية ساعدها على فهم العمل السياسي وكيفية إدارته بذكاء ودراية وهو ما كان واضحاً بعد وفاة زوجها مباشرة وعند حكمها لمصر.

-استطاعت أن تحفظ حكم البلاد لابن زوجها بالرغم من الظروف الصعبة التي يعيشها الموقف في مصر حيث كانت الحرب مستمرة مع الفرنسيين.

-قدرتها على قيادة البلاد بطريقة صحيحة وقوية.

-غيرة شجرة الدر من وجود امرأة أخرى في حياة زوجها المعز أيبك جعلها تجانب الصواب في تصرفاتها فنجدها تمنعه من أم ولده علي بل وتحاول تطليقها منه، ولما علمت بخطبته لابنة الموصل ثارت ثائرتها واعتقدت أنها بداية نهايتها فقررت قتله

-قد يكون موقف شجرة الدر وقبولها لمقتل توران شاه من قبل المماليك البحرية دوراً هاماً في قسوة قلبها، وتسهيل أمر القتل لديها والاستهانة بأمره بل والرغبة فيه خاصة لو كان القتل فيه حماية لنفسها وقد يكون وراءه خير لها كتوليها الحكم بعد مقتل توران شاه.

من خلال اطلاعنا على هذه الشخصيات النسائية وجدنا أن هناك عوامل تربط بينهن كنساء، وإن كانت لكل شخصية منهن سماتها وشخصيتها وطريقة تربيتها المختلفة، وفيما يلي أهم عوامل التوافق بين تلك النسوة وهي:

١- حياة الترف والراحة والدلال التي عشنها فجميعهن كانوا مدللات ومجابات الرغبات إما من قبل زوج أو والد أو ولد.

٢- السبب الأهم في القتل هو خوفهن على حياتهن من المقتول وتيقنهن أن منيتهن ستكون على يده.

٣- حبهن للعمل السياسي والرغبة في المشاركة فيه، وإبعاد أي عائق بطريقهن حتى لو كان بالقتل.

٤- رغبتهن في الحياة ومواصلة الطريق مهما واجههن من صعوبات أو فراق عزيز كزوج أو ولد أو أخ، فلم يكن الموت أبداً سببا لبعدهم عن ملذات الحياة مهما كانت مكانة الشخص المفقود.

٥- اجتمعت لديهن الرغبة بالاهتمام بالنواحي الاجتماعية والدينية في مجتمعاتهن وهي أولوية تختلف من واحدة لأخرى.

٦- كان لهن دور سياسي مهم في مجريات الأحداث مهما بلغ حجم ذلك الدور والذي يختلف من واحدة لأخرى إلا أنه كان لكل واحدة منهن بصمة سياسية واضحة خاصة بها.

٧- قوة سيطرتهن على مشاعرهن وتحكمهن فيها فلم تكن عاطفة الأمومة أو محبة الزوج أو رابطة الأخوة سببا لمنعهن من قيامهن بقتل أعز الناس عليهن مهما بلغت مكانته في قلوبهن.

٨- لم تظهر ملامح القسوة والعنف لدى تلك النسوة إلا في تلك المواقف المحددة، فلم يكن يعرف عن شخصياتهن الغلظة والقسوة ويبدو أنهن لجأن لتلك القوة لأمر يعتقدن بضرورته.

قائمة المصادر العربية

[١] الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد(ت: ٨٥٠هـ)،*المستطرف في كل فن مستظرف*، تحقيق: مفيد قميحة، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ.

[٢] ابن إسحاق، محمد بن يسار (ت: ١٥١هـ)، *سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)*، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف، د. ت.

[٣] ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت: ٦٣٠ه)، *الكامل في التاريخ*، بيروت: دار صادر، ١٩٦٦م.

[٤] *الكامل في التاريخ*، تحقيق: عبد الله القاضي، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

[٥] الأندلسي، احمد بن محمد بن عبد ربه(ت: ٣٢٨هـ)، *العقد الفريد*، الطبعة الثالثة، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ.

[٦] ابن الزبير، الرشيد (ت: ق٥هـ)، *الذخائر والتحف*، تحقيق: صلاح المنجد، الكويت: دائرة المطبوعات،١٩٥٩م.
[٧] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، *المنتظم في تاريخ الأمم*، بيروت: دار صادر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ.
[٨] ابن العديم، كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد (ت: ٦٦٠هـ)، *زبدة الحلب من تاريخ حلب*، تحقيق: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.
[٩] ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي الحنبلي(ت: ١٠٨٩هـ)، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، تحقيق محمود الأرناؤوط، الطبعة الأولى، دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ.
[١٠] ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت: ٦٩٧هـ)، *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب*، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
[١١] ابن الوكيل، يوسف بن محمد الملواني (ت: ١١١٤ه)، *تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب*، والذيل تأليف: مرتضى مصطفى بن حسن الكروي الدمشقي، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مصر: دار الكتاب الجامعي، د. ت.
[١٢] ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت: ٩٣٠ه)، *بدائع الزهور في وقائع الدهور*، حققها: محمد مصطفى، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القسم الأول، ١٤٠٢هـ.
[١٣] ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الأتابكي (ت: ٨٧٤هـ)، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، قدم له: محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.
[١٤] *مرد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة*، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٧م.

[١٥] ابن دقماق، إبراهيم بن محمد ايدمر (ت: ٨٠٩هـ)، *الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين*، تحقيق: سعيد عاشور،مراجعة: أحمد السيد دراج، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، د.ت.
[١٦] ابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ)، *تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل*، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامه العمري، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م.
[١٧] ابن كثير، اسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ)، *البداية والنهاية*، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، الطبعة السادسة، القاهرة: دار الحديث، المجلد العاشر، ٢٠٠٢م.
[١٨] أبو الحديد المدائني، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد، (ت: ٦٥٥هـ)، *شرح نهج البلاغة*، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، الطبعة الأولى، دار بيروت: الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.
[١٩] أبو الفداء،عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت: ٧٣١هـ)، *المختصر في أخبار البشر*، القاهرة: مكتبة المتنبي، د.ت.
[٢٠] البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ)، *فتوح البلدان*، تحقيق: رضوان محمد رضوان، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.
[٢١] البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت بعد: ٣٠٢هـ)، *المحاسن والمساؤي*، تحقيق: عدنان علي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ه.
[٢٢] الحلبي، علي بن برهان الدين (ت: ١٠٤٤ هـ)، *السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون*، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٠هـ.
[٢٣] الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر (ت: ٤٦٣هـ)، *تاريخ بغداد*، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
[٢٤] الدمشقي، عبد القادر بن محمد النعيمي (ت: ٩٧٨هـ)، *الدارس في تاريخ المدارس*، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ.

[٢٥] الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: ٧٤٨ه)، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة التاسعة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ه.

[٢٦] *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، لبنان: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

[٢٧] الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت: ٧٦٤هـ)، *الوافي بالوفيات*، تحقيق: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ.

[٢٨] الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير(ت: ٣١٠هـ)، *تاريخ الطبري*، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

[٢٩] العيني، بدر الدين محمود(ت: ٨٥٥هـ)، *عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان*، حققه: محمد محمد أمين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٧هـ.

[٣٠] القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت: ٤٥٣هـ)، *زهر الآداب وثمر الألباب*، تحقيق أ.د يوسف الطويل، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧ه.

[٣١] المسعودي، الإمام أبو الحسن بن علي (ت: ٣٤٦هـ)، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٨م.

[٣٢] المقريزي، تقي الدين أحمد (ت: ٨٤٥هـ)، *اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا*، تحقيق جمال الدين الشيال، مصر: لجنة إحياء التراث، المجلد الأول، د.ت.

[٣٣] *المواعظ والأخبار بذكر الخطط والآثار*، تحقيق: محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مصر: مكتبة مدبولي، ١٩٩٨م.

[٣٤] النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ)، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، تحقيق: فؤاد قميحة وآخرون، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.

[٣٥] الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد (ت: ٢٠٧ هـ)، *المغازي*، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.

قائمة المراجع الحديثة

[٣٦] الأتاوني، أحمد، *دمشق في العصر الأيوبي*، تقديم: سهيل زكار، دمشق: التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ٢٠٠٧م.

[٣٧] البدوي، خليل، *شهيرات النساء*، الطبعة الأولى، الأردن: دار أسامة للنشر، ١٤١٩هـ.

[٣٨] حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني، القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٦٤م.

[٣٩] حسن، محمد كامل، *سطور مع عظيمات*، الطبعة الأولى، بيروت: دار البحوث العلمية، ١٣٨٩هـ.

[٤٠] ديوان، عبد الحميد، *موسوعة أشهر النساء في التاريخ العربي*، الطبعة الأولى، لبنان: كتابنا للنشر، ٢٠٠٨م.

[٤١] السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ)، *غذاء الألباب شرح منظومة الآداب*، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

[٤٢] عبد الصبور، شاهين، إسلام، الرفاعي، *نساء وراء الأحداث*، الطبعة الأولى، القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٦م.

[٤٣] شبارو، عصام محمد، *السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري*، بيروت: دار النهضة، ١٩٩٤م.

[٤٤] فواز، زينب، *الدر المنثور في طبقات ربات الخدور*، الجزء الأول، شبكة المشكاة الإسلامية الالكترونية.

[٤٥] كحالة، عمر رضا، *أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام*، بيروت: مؤسسة الرسالة،١٩٥٩م.

[٤٦] ماردیني، عبدالرحيم، *موسوعة مشاهير وعظماء وشخصيات من العالم*، الطبعة الأولى، دمشق: دار المحبة، ٢٠٠٣م.

[٤٧] الهاشمي، عبد المنعم، *موسوعة تاريخ العرب-عصر المماليك والعثمانيين*، بيروت: دار البحار، ٢٠٠٦م.
[٤٨] *موسوعة تاريخ العرب – العصر الأيوبي*، بيروت: دار البحار، ٢٠٠٦م

Violence in the life of some Women leaders in Islamic History (170-655)

Dr. Athari Ibrahim Abdul Aziz Al-Shuaibi
King Faisal University, College of Arts, History Dept.
P. B. 755 Zip Code 31982
Email: atshaibi@kfu.edu.sa

Abstract. The purpose of this research is to provide a brief biography of four famous female rulers in Islamic history through different periods of time. The focus of this research is to study and analyze the attitude of collusion and violence of their decisions during their ruling periods. Most of the historical resources focused on their political roles and heroic attitudes, overlooking some of their negative violent attitudes in their lives, and the effects of those attitudes on the course of historical events in their ages, and the reasons which leading to that violence. The researcher has divided the study into five parts; the status of women and their political role in Islamic society, the violence in the life of women in the Islamic era, the selected four female characters according to the date of their deaths, and the most common factors among these women. The study has shown several common characteristics and factors that these four women rulers share in general.